تأريخ غربي لمرحلة فلسطينية

منظمة التحرير الفلسطينية: الشعب والقوة والسياسات

Helena Cobban, *The Palestinian Liberation Organization: People, Power and Politics,* Cambridge: Cambridge University Press, 1984. 305 p.

في الوقت الذي انفجر فيه الصراع الداخلي الفلسطيني حول اعادة كتابة وتفسير التاريخ السياسي المعاصر للشعب الفلسطيني وللتنظيمات المسلحة التي انبثقت عنه وانصهرت في اطار ممثل هو منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.)، صدر هذا الكتاب ليبدأ بعملية تأريخ التجربة، تلك العملية التي لم يقم بها حقيقة اي طرف فلسطيني قبل ان ينتقل الى اعادة التأريخ. فاذا كانت الاطراف الفلسطينية تتصارع فيما بينها اليوم، فيما تتصارع عليه، حول تصوير الماضي وما يعنيه، فلا بأس ان تقوم صحافية بريطانية بتسجيل شيء من ظروف وشخصيات وانجازات المسيرة الصعبة لفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٨٣.

يتركز جهد هيلينا كوبان، رغم عنوان الكتاب، على تتبع قصة حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» منذ نشأتها وحتى ربيع ١٩٨٣، اي بعد انعقاد دورة المجلس الوطني السادسة عشرة في الجزائر وبعد تجميد عضوية نمر صالح (ابو صالح) في اللجنة المركزية لـ «فتح». لكن لا يعني تركيز المؤلفة على سيرة «فتح» تجاهلا للتنظيمات الاخرى او لمنظمة التحرير نفسها، بل يعكس حقيقة تداخل تاريخ «فتح» وتاريخ م.ت.ف. بعد ١٩٦٨، وحقيقة الحجم السياسي والمعنوي والعسكري الكاسح لـ «فتح» ضمن الميزان الداخلي الفلسطيني. واذ تمسك كوبان بخيط رئيسي هو التاريخ المترابط عضويا لـ «فتح» ـ الاشخاص و لـ «فتح» ـ الكيان فانها بذلك تسحب معه الخيوط الاخرى، الفلسطينية والعربية والدولية، التي تشكل بمجموعها وبمجموع تداخلاتها وتشابكاتها، القصة الفلسطينية المعاصرة.

يتوزع كتاب **منظمة التحرير الفلسطينية: الشعب والقوة والسياسات** على احد عشر فصلا، ترافقها خمسة ملاحق وببيلوغرافيا منتقاة. كما تتوزع الفصول، من الثاني حتى العاشر، على ثلاثة اجزاء رئيسية تتناول «تاريخ التيار الرئيسي داخل م.ت.ف.» و «العلاقات الداخلية» و «العلاقات الخارجية»، عدا المقدمة والخلاصة.

تفتتح كوبان كتابها بالتعبير عن ثلاث مسائل هامة، هي:

١ ـ ان ثمة تساؤلا جوهريا مطروحا امام حركة مقاومة الشعب الفلسطيني حول التوازن الذي اعتمدت عليه التنظيمات المسلحة فيما بين النشاط السياسي والنشاط العسكري، وبين العمل داخل فلسطين المحتلة والعمل خارجها.

٢ ـ ان قيادة «فتح» التاريخية، وقيادة م.ت.ف. كذلك، كانت وما زالت مستعدة للقبول بالحلول الوسط او بالاستراتيجية «المرحلية» (وهي الاستراتيجية التي التزمت بها مختلف الفصائل الفلسطينية تدريجيا منذ العام ١٩٧٤) لتسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي. لكن يوجد، ثمة، حد ادنى لم تتجاوزه هذه القيادة او تلك ولن تتجاوزه